والظلمات ترقبها فى الشفق والغسق ، الخافقة مع الهبوات والنسمات ترصد فعلها فى المدر والوبر والدوح والورق ، النائمة فى حضن جبل أو على ذراعى موجة أو فى عين نجم ، أو فى عش ، أو على زهرة منضورة نقطها الندى ، أو فى ناى راع ، أو فى قبر مهدم متفرد !

* * *

يا أم الفطرة ! أريد أن أقبض قبضة من ذراتك البسيطة التركيب ، البريئة من الدنس ، المطهرة من الرجس ، فأحصب بها وجوه المصانع وناطحات السحاب لعل أحجارها تذكر المهد الأول فترعى ذمه ، وتوشج رحمه ، وتزيح عنها دخان البارود لترى السماء وتسمع خبرها . . .

يا أم الفطرة ودينها ، انبهاملك ترك عقل « محمد » فى حيرة غداة شب عن الطوق يرعى ، ومجالى الفتنة والروعة فيك نادته إلى العزلة فى شعفة من شعفات جبالك يسأل الدنيا عن سرها وأزلها وأبدها وملكها ونحلها حتى حدثته السماء خبرها . ولم ينزل خبر السماء إلا فيك أو على حوافيك ، لأنك القدس والمطهر ، تسجد الطبيعة فيك بالاصباح والإمساء ، والنجوم والجبال والشجر والدواب ... وإن أهل الأرض مدينون لك بالظل الذى يجدون بردّه على قلوبهم وامتداده على أرواحهم ؛ ولقد نشرت « كتابك » على الدنيا مرة فطبعت كلماته على الآفاق كلها ؛ ولكن ركاما من الغيوم يكاد يخفيها ، فأرسلى رياحك الحارة تذيب الركام وتجلو كلمات النبوة . . تريد الأرض موجة جديدة منك أيتها الصحراء ، فاهتزى !

* * *

ضحكت بالقتاد والأشواك ضحكة خلتها بشاشة باك
أرسلتها فى الصمت همساً ولكن رنّ فى مسمعى صداها الحاكى
فرحة بالربيع دبّ على الأر ض وليدا يثيرها لحراك
فرشت فى طريقه الشوك والحمـ ـض ووشّت رمالها بالأراك

عجزت أن تجارى الخصب بالحب (م) وفرش الرُّبى ونفح الزواكى
فأنالت جهد المقل ، وما يطـــلب من عاجز بلوغ السماك

القاهرة عبد المنعم خلاف

٢ - عمر بن الخطاب *

للأستاذ على الطنطاوى

— ٦ —

كان المسلمون فى مكة - فكانت الخصومة بينهم وبين الكفار من قريش - خصومة فردية ، شخص يناوئ شخصاً ، وجماعة تقاتل جماعة . فلما كانت الهجرة واستقر الاسلام فى (يثرب) وفتحت له صدرها ، وقدمت لنصرته أبناءها وفلذات كبدها ، استحالت الخصومة إلى شبه (خلاف دولى) بين القرشيين المقيمين على الشرك ، العاكفين على الاصنام ، المدافعين عن الباطل ، وبين أهل (المدينة المنورة) بنور التوحيد - (أنصار) الاسلام وحماة الدين ، وجنود الله ؛ واتسع الخلاف وخاب مع الكفار المنطق وتعذر الصلح ولم يبق بد من الحرب

ومهما يقل اليوم (دعاة السلام) فى شناعة الحرب ويصفوا من أهوالها وينفروا منها ، ومهما يؤلفوا فى ذلك من كتب ويصنفوا من أصناف ، فان مما لاريب فيه أن هناك (حرباً مقدسة) مشروعة فاضلة ، هى الحرب التى تشب نارها دفاعاً عن الحق وذباً عن الفضيلة وتأديباً للمجرمين . . . ومن ينكر على الجند أن يحاربوا اللصوص والمجرمين ويمنعوهم أن يعيشوا فى الأرض فساداً ؟ ومن يمنع القاضى أن يقتل القاتل ليشترى بموته حياة أمة ، ويحبس الجانى ليضمن بحبسه حرية شعب ؟

كذلك كانت (معركة بدر) حرباً مقدسة ، أثيرت من أجل الحق والفضيلة والسلام والاسلام . . . فمشت إلى بدر (عصابة المجرمين) من قريش ، مزهوة زهو اللصوص ، شامخة بآنافها شموخ القتلة ، مستكبرة استكبار قطاع الطرق . . . ومشت فرق الجنود المسلمين متواضعة لله خاضعة له . لا قوة لها إلا قوة الحق ، ولا سلاح إلا سلاح الايمان ، ولا غرض لها إلا تطهير الأرض من أدران الشرك واوضار الظلم ومحو الارستقراطية السخيفة العاتية . .

(*) انظر الرسالة ١٦٨

والتقتا فى (بدر) ـ فالتقى الحق بالباطل ـ والنور بالظلام ، ووقف الجنود والحراس وجهاً لوجه ... ووقف التاريخ على الطرق يرقب النتيجة ـ فاما أن ينتصر المسلمون فيمضى صعداً ويرقى فى مدارج العلاء متوشحاً بوشاح الحضارة ، وإما أن يندحروا فينحدر إلى الهاوية .. فلم ينجل الغبار حتى خرجت راية محمد (صلى الله عليه وسلم) خفاقة منصورة وخرج اللصوص بين قتيل ملقى للسباع والطير قد خسر الدنيا والآخرة ، وأسير فى عنقه حبل يساق إلى (المحكمة) !

* * *

وانعقدت أشرف محكمة وأعدلها ـ برئاسة سيد العالم ـ وأفضل النبيين (صلى الله عليه وسلم) وعضوية شيخى المسلمين ، وخليفتى النبى الأمين ـ الصديق والفاروق ـ وكان فى كرسى (النيابة العامة) شاعر الاسلام ، وعلم الانصار ، البطل الشهيد : عبد الله بن رواحة ...

وافتتحت الجلسة ... وثبت الجرم . وكان (جرماً مشهوداً) وطلب (النائب العام) أن يعوّد المتهمون على حياة جهنم التى كذبوا بها ، وأقدموا عليها ـ فيكون جزاؤهم جزاء ناريا : يلقون فى وادٍ كثير الحطب ـ ثم يضرم عليهم ناراً

دخلت المحكمة (للمذاكرة) فسأل الرئيس الأعضاء آراءهم ، فلان أبو بكر (أرحم الأمة بالأمة) ورأى أن تؤخذ منهم الفدية فتكون قوة للاسلام ولا يقتلوا لأنهم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وخالفه عمر (أشد الناس فى دين الله) وطلب (إعدامهم) جميعاً : هؤلاء أئمة الكفار وصناديدهم وقادتهم ؛ إنهم يعترضون سبيل الدعوة الجديدة ـ إنهم قطاع الطريق ـ فيجب أن تسلم الطريق إلى الله ـ يجب أن تمضى الدعوة فى سبيلها آمنة مطمئنة

وسكت صلى الله عليه وسلم ـ ووازن بين الرأيين ـ ثم نطق بالحكم فكان كما رأى أبو بكر ...

غير أن الحكم قد (استؤنف) ونزل (الاستئناف) من السماء : « ما كان لنبيٍّ أن يكونَ لهُ أسْرى حتى يُثْخِنَ فى الأرض . تريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرةَ والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبَقَ لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم »

٨ * ٢٢

— ٧ —

وسمت منزلة عمر فى الاسلام . فلم يكن فوقه إلا الصديق الأعظم . وكان عمر بطل الدعوة وفتاها وحارسها . ثبت مع النبى (صلى الله عليه وسلم) فى أحد ساعة اضطراب الجيش وفداه بنفسه ، واختاره صلى الله عليه وسلم ليجيب أبا سفيان باسم الاسلام ، فأجابه جواب القوىّ الظاهر ... حسب أبو سفيان أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد قتل . وقتل صاحباه ، واستراحت قريش من هذه البدعة فهى ذاهبة إلى حلقاتها حول الكعبة ـ التى تحدق بها الاصنام ـ تتحدث حديثها وتروّيها ابناءها ليعتبروا بها فلا يحاولوا الخروج عما ألفوا عليه آباءهم .. حسب أبو سفيان أن الاسلام غمامة صيف جاءت ثم انقشعت . لم يدر أن الاسلام أثبت من الأرض ، وأخلد من الزمان ، وأنها تزول السموات والأرض ولا يزول ، فما هُبَل ، وما هذه الأباطيل ؟ أقطعة من الحجر وفلذة من المعدن ، تصنعها بيدك ، وتدوسها برجلك ، تسويها برب العالمين ؟ ما هذا العقل يا أبا سفيان ؟

* * *

كانت أحد فكان عمر عظيما ظافراً فيها . كما كان فى بدر وهما لعمرى سواء ، ما غُلب المسلمون فى أحُد . وما غَلب فيها المشركون ... ذلك أنهم ما ساروا خمسمائة كيل ، من مكة إلى المدينة ليصيح قائدهم : اعل هبل ... اعل هبل ... ثم يرجع من حيث جاء ، ولكن ساروا ليفتحوا المدينة ، ويقتلوا محمداً ، ويجتثوا الاسلام من أصله ، فكيف يدعون المدينة وما بينهم وبينها إلا مسيرة نصف ساعة ، وما فيها حامية تذكر ولا يدخلونها ولا يحتلونها ولا يغيرون عليها فينهبونها ؟ وكيف ينظر قائدهم العام محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه وهم قواد العدو ، ويكلمهم ويحادثهم ولا يقتلهم ولا يأسرهم ، وهو ظافر بهم ظاهر عليهم ؟ وكيف يعد جيش المسلمين منهزماً ، وقواده ثابتون ، وضباطه مستقرون فى أماكنهم ، وقلبه باق ورايته مرفوعة ؟

أما إن الحق أن جيش المسلمين ، قد اضطرب بعد أن غادر الرماة أماكنهم ، وأغار عليه خالد ـ قائد فرسان المشركين ، وانهزمت بعض فرقه ، مذعورة خائرة ـ ولكنّ القادة ، وفرق القلب بقيت ثابتة فى أماكنها . تمنع العدو من الوصول إلى

المدينة حتى يئس فارتد على أعقابه من حيث جاء، ونجح الجيش الاسلامي في خطته الدفاعية نجاحا باهرا، ذلك أن الجيش الاسلامي كان مدافعا ، وأكبر نصر يناله الجيش المدافع ، هو أن يرد العدو وينقذ الوطن . وهذا ما قام به الجيش الاسلامي على أتمّه ولكنه خسر كثيرا من الضحايا ...

فمعركة أحد إذن نصر للاسلام ، وعمر من أعلام هذه المعركة وأبطالها

— ٨ —

واقرأ (السيرة) كلها ، فهي سيرة عمر - وإذا لم يظهر اسمه في كل موطن — ولم يبد ذكره في كل موقع — فلأن النبي صلى الله عليه وسلم شمس تسطع في سمائها - فتكسف النجوم مهما كانت وضاءة متلألئة

على أن عمر رضي الله عنه لقوّة شخصيته ومضاء عزيمته لا يكاد يخفى ، فقد كان يمثل الجانب القوي المغامر الطماح ، من الجبهة الاسلامية ، لا يرضى بالهوادة ، ولا يعرف اللين ، ولا تأخذه في الله شفقة ولا ملامة

كان يأبى أن توقع معاهدة الحديبية ، ويلح على النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمد إلى الحرب : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابنَ الخطاب ! إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبدا

فيشتد عليه الأمر . ويضيق به صبره ، فيذهب إلى أبي بكر وقد عجز الصحابة كلهم عن احتمال المحنة - إلا أبا بكر . فيقول له: يا ابن الخطاب . انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا . . .

فلا يقنع عمر ولا يرضى ، ولكنه يسمع مكرهاً ويطيع ، حتى اذا مرت الأيام ، ووضحت حكمة النبوة ، وكان الفتح ، أدرك عمر سمو رأي النبي صلى الله عليه وسلم ، فما زال يتصدق ويصوم ويصلي ويعتق ، مخافة كلامه يومئذ ، حتى رجا أن يكون خيراً . على أن عمر لم يعارض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعصه ولكنه رأى رآه واجتهد اجتهده ؛ فكان يأمل موافقة ربه سبحانه وتعالى ، كما سبق له أمثالها ، وقد كانت طاعته للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة ، وكان يؤثر رضاه على رضاه ، ولقد أقسم عمر — باراً — أن إسلام العباس يوم أسلم كان أحب اليه من إسلام أبيه الخطاب لو أسلم ، لأن إسلام العباس أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من أهله وولده ، ومن نفسه التي بين جنبيه

— ٩ —

أنجز الله وعده ، فظهر الاسلام وغلب وعم الجزيرة ، ودان له العرب كلهم ، واجتمعوا في عرفات ، في المؤتمر الأعظم ، فأنزل الله آخر آية من القرآن ، آخر مادة من الدستور الخالد : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فاحتفلوا بكمال الدين ، وتمام النعمة ، وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً مودعا ، وأعلن (حقوق الانسان) كاملة : الحرية والعدالة والمساواة .

وعاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يلبث أن مرض

* * *

جزع الصحابة ، وشغلهم مرضه عن أولادهم وأنفسهم ، فكانوا لا يهنأون بمنام ولا يسيغون طعاماً ، ولا يقبلون على عمل ، ولا يرون وجه الدنيا قلقاً عليه صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يودون لو يفتدى بكل مافي الأرض من شيء ليفتدوه ، وكانوا يسألون عنه في كل ساعة ولحظة ، ويعلمون عليه . فلما قبل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طارت العقول ، وخفت الأحلام ، وزلزل الناس زلزالا شديداً ، وأصابتهم حيرة وعراهم ذهول ، فلم يدروا ما يصنعون ، وكانت ساعة من يوم الحشر . ولا عجب فقد كانوا أمواتاً قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول مطلع حياتهم ، وأول دنياهم . فلم لا تكون وفاته خاتمة الحياة ، وآخر الدنيا ، وأن يكون يوم قبضه كيوم القيامة ؟

وجزع عمر وهزت الرزية نفسه ، وغلبه حبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستطع أن يتصور أنه قد مات ، ولم يقدر أن يتخيل الحياة بدونه ، فهو أساسها ومصدرها ، وهو شمسها المنيرة ، وهل حياة من غير شمس ؟ وهو روح هذا

الكون ، وهل يعيش جسم بلا روح ؟ ولم يطق أن يسمع أنه قد مات ، فوثب مخترطا سيفه ، تنطقه عاطفته ، وحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يمنع الناس أن يقولوا : مات رسول الله انه لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع اليهم ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات !

وكان أبو بكر رضى الله عنه غائباً فى منزله فى السُّخ ، وكان أبو بكر العقل الثابت الذى لا تقلقله الحادثات ولا تحركه النوائب ، وكان عمر يومئذ القلب الحساس الذى يفيض بالعاطفة وينبثق بالشعور ، فلما قدم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله ثم خرج وعمر يتكلم ، فاستنصته فلم ينصت ، ومضى يتكلم ، لا مخالفة لأبى بكر ، ولكن الحس الذى طغى على نفسه ، والحب الذى غمرها لم يدع فيها سبيلا لغيره . . حتى إذا تكلم أبو بكر فقال كلمته العظيمة :

أيها الناس : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، وتلا قول الله عز وجل :

(وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) وسمعها عمر ، أفاق كمن استيقظ من حلم ، فرأى أنه كان مخطئا ، وتحقق الرزية وأدرك أنه لن يرى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخارت قواه ولم تحمله رجلاه ، فسقط على الأرض

دمشق : علي الطنطاوي

المرحوم اسماعيل سرى باشا

المرحوم محمود سامى البارودى باشا

المرحوم صفى ناصف بك

المرحوم احمد شوقى بك

المرحوم حافظ ابراهيم بك

يحدثكم عن تقويم الشعراء المصريين وغيرهم
الكاتب الكبير الأستاذ
عباس محمود العقاد
فى كتابه الجديد
شعراء مصر
وبيئاتهم فى الجيل الماضى
يطلب من الناشر مكتبة النهضة المصرية - ١٥ شارع الفجالة
تليفون ١٣٩٤٥ - الثمن ٦ قروش عدا أجرة البريد